جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

بناء الشخصيات، وصراعها في رواية "ورثة آل الشيخ" لأحمد القرملاوي

إعداد

د/ أحلام Yang Yingying
دكتوراه الأدب العربي
كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الرابع .. نوفمبر)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية- محكمة- ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

بناء الشخصيات، وصراعها في رواية "ورثة آل الشيخ" لأحمد القرملاوي

أحلام Yang Yingying

دكتوراه الأدب العربي، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر.

البريد الإلكتروني: ying2899@gmail.com

الملخص:

في ملحمة سردية، يقدم الكاتب "أحمد القرملاوي" رواية متعاقبة الأجيال، تبحث في المجهول من خلال أسطورة عن كنز موعود، يتناقلها أفراد عائلة جيلاً بعد جيل، فتدفع بطل الرواية لأن يفتش وراءها عبر البيوت والأزمنة. وهكذا يقدم أحمد القرملاوي رواية أجيال لها مذاق مختلف، يصحب فيها القارئ عبر شوارع القاهرة القديمة وحكاياتها، وفي محاولة أدبية نقدية لتحليل الرواية، أقدم هذه الدراسة عن بناء الشخصية وصراعها، في رواية "ورثة آل الشيخ"، تدور أحداث قصة الرواية في الفترة ما بين القرن العشرين، ومنتصف القرن الحادي والعشرين، وتحكي في أجواء أسطورية رحلة البحث عن كنز قديم لإحدى العائلات الكبيرة، حيث اختزلت الرواية فترة طويلة جداً من الزمن والأحداث السياسية والتاريخية والاجتماعية، في سرد روائي سلس، ويرسم الروائي "أحمد القرملاوي" صورة شديدة الجمال والشفافية لعائلة "آل الشيخ" منذ الحرب العالمية وحتى نهاية الفترة الناصرية، بالتوازي مع حكاية الراوي التي تدور في الزمن الحاضر، وينتقل بين الحكايتين بانسيابية بالغة، وتمثل شجرة العائلة خمسة أجيال متتابعة، حيث تبدأ بالجدر (الشيخ)، وتنتهي بالراوي (أحمد)، الذي يرغب في كتابة رواية تحكي تاريخ عائلته، فيبحث عن تفاصيل كثيرة في ذكريات من حوله، ويكاد يشعر أثناء رحلته أن هذه الذكريات التي يلملمها تصنع ذاته من جديد، منهج البحث: يتبع هذا البحث عدة مناهج وهي: المنهج النفسي، المنهج الاجتماعي، المنهج الوصفي التحليلي، المنهج التاريخي، وتتحد هذه المناهج لخدمة البحث، حيث يقدم المنهج الاجتماعي رصداً للمشكلات الاجتماعية الناتجة من صراعات الأجيال المتعاقبة في الرواية، مع المبادرة بالمنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بتفكيك النص الأدبي، ودراسة الجزئيات بدقة من خلال التحليل والنقد، ثم استعادة الهيئة الكلية مرة أخرى، واستنباط الأحكام.

الكلمات المفتاحية: ورثة آل الشيخ، أحمد القرملاوي، شجرة العائلة، الصراع، الراوي، المرأة.

Building characters and their struggle in the novel “The Heirs of Al-Sheikh” by Ahmed Al-Qarmalawi

Ahlam Yang yingying
PhD, Arabic Literature, College of Arts, Alexandria University, Egypt.
Email: ying2899@gmail.com

Abstract:
In a narrative epic, the writer "Ahmed Al-Qarmlawi" presents a novel of successive generations, searching in the unknown through a legend about a promised treasure, passed down by family members from generation to generation, prompting the protagonist to search for it through houses and times. Thus, Ahmed Al-Qarmlawi presents a novel of generations with a different flavor, in which he takes the reader through the streets of old Cairo and its stories, In a critical literary attempt to analyze the novel, I present this study on the construction of the character and its conflict, in the novel "Heirs of Al-Sheikh." The events of the novel take place between the twentieth century and the middle of the twenty-first century, and tell in a legendary atmosphere the journey of searching for an ancient treasure for one of the large families, as the novel summarizes a very long period of time and political, historical and social events, in a smooth narrative narrative, and the novelist "Ahmed Al-Qarmlawi" paints a very beautiful and transparent picture of the "Al-Sheikh" family from the World War until the end of the Nasserite period, in parallel with the narrator's story that takes place in the present time, and he moves between the two stories with great fluidity. The family tree represents five successive generations, starting with the grandfather (the Sheikh) and ending with the narrator (Ahmed), who wants to write a novel that tells the history of his family. He searches for many details in the memories of those around him, and during his journey he almost feels that these memories he collects are creating his self anew. Research Methodology: This research follows several methods, namely: 1- The psychological method. 2- The social method. 3- The descriptive analytical method. 4- The historical method . These methods combine to serve the research, as the social method provides an observation of the social problems resulting from the conflicts of successive generations in the novel, with the initiative of the descriptive analytical method that deconstructs the literary text, and studies the details accurately through analysis and criticism, then restores the overall form again, and deduces the rulings .

Keywords: Heirs of Al Sheikh, Ahmed Al Qarmlawi, Family Tree, Conflict, Narrator, Women.

مقدمــة

في ملحمة سردية، يقدم الكاتب "أحمد القرملاوي" رواية متعاقبة الأجيال، تبحث في المجهول من خلال أسطورة عن كنز موعود، يتناقلها أفراد عائلة جيلاً بعد جيل، فتدفع بطل الرواية لأن يفتش وراءها عبر البيوت والأزمنة. وهكذا يقدم أحمد القرملاوي رواية أجيال لها مذاق مختلف، يصحب فيها القارئ عبر شوارع القاهرة القديمة وحكاياتها.

وفي محاولة أدبية نقدية لتحليل الرواية، أقدم هذه الدراسة عن بناء الشخصية وصراعها، في رواية "ورثة آل الشيخ".

تدور أحداث قصة الرواية في الفترة ما بين القرن العشرين، ومنتصف القرن الحادي والعشرين، وتحكي في أجواء أسطورية رحلة البحث عن كنز قديم لإحدى العائلات الكبيرة، حيث اختزلت الرواية فترة طويلة جداً من الزمن والأحداث السياسية والتاريخية والاجتماعية، في سرد روائي سلس، ويرسم الروائي "أحمد القرملاوي" صورة شديدة الجمال والشفافية لعائلة "آل الشيخ" منذ الحرب العالمية وحتى نهاية الفترة الناصرية، بالتوازي مع حكاية الراوي التي تدور في الزمن الحاضر، وينتقل بين الحكايتين بانسيابية بالغة.

وتمثل شجرة العائلة خمسة أجيال متتابعة، حيث تبدأ **بالجدر (الشيخ)**، وتنتهي **بالراوي (أحمد)**، الذي يرغب في كتابة رواية تحكي تاريخ عائلته. فيبحث عن تفاصيل كثيرة في ذكريات من حوله، ويكاد يشعر أثناء رحلته أن هذه الذكريات التي يلملمها تصنع ذاته من جديد.

منهج البحث:

يتبع هذا البحث عدة مناهج وهي:

١- المنهج النفسي. ٢- المنهج الاجتماعي.

٣- المنهج الوصفي التحليلي. ٤- المنهج التاريخي.

وتتحد هذه المناهج لخدمة البحث، حيث يقدم المنهج الاجتماعي رصداً للمشكلات الاجتماعية الناتجة من صراعات الأجيال المتعاقبة في الرواية، مع المبادرة بالمنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بتفكيك النص الأدبي، ودراسة

الجزئيات بدقة من خلال التحليل والنقد، ثم استعادة الهيئة الكلية مرة أخرى، واستنباط الأحكام.

روايات الأجيال في الأدب العربي:

رواية الأجيال، ويطلق عليها أيضاً الرواية النهرية ورواية الحقبة، والرواية الانسيابية. ويمكن التأريخ لظهور رواية الأجيال أو رواية الأزمان في الأدب المصري بظهور رواية "شجرة البؤس" لعميد الأدب العربي "طه حسين" عام ١٩٤٤م.

كما نجد الثلاثية الخالدة، فقد قدم صاحب "نوبل" في **(بين القصرين، وقصر الشوق، والسكرية)**، رواية أجيال نموذجية، والأكثر اكتمالاً.

ثم عاد نجيب محفوظ، وقدم رواية أجيال في عمله الشهير "**حديث الصباح والمساء**".

ويعد مجيد طوبيا أحد أبرز كتاب رواية الأجيال في تاريخ الأدب المصري بعد نجيب محفوظ من خلال رائعته "تغريبة بني حتحوت" والصادرة العام ١٩٨٨م.

وفي عام ٢٠٠٣ كتب **محمد البساطي** رواية "أوراق العائلة" وهي تحكي قصص ثلاثة أجيال في عائلة مصرية، تربط بينهم شخصية الجدة زينب.

وقدمت صاحبة رائعة "**ثلاثية غرناطة**" "**رضوى عاشور**"، في عام ٢٠١٠م تجربة عن رواية الأجيال في صورة "**الطنطورية**" وهي رواية تؤرخ لمعاناة الشعب الفسلطيني بعد التهجير والاحتلال الإسرائيلي، في نموذج قرية الطنطورة الواقعة جنوب حيفا.

أما رواية "**بيت الديب**" والتي يعتبرها مؤلفها الروائي **عزت القمحاوي** أصغر رواية أجيال حيث إنها عبارة عن ٣١٨ صفحة من القطع الصغير فقد اعتمد فيها على لغة مكثفة لرواية فصول الرواية، التي تغطي أكثر من ١٥٠ عاماً من تاريخ مصر.

وتعد ملحمة (السراسوة) لأحمد صبري أبو الفتوح، إحدى أكبر روايات الأجيال في الأدب المصري، والتي بدأ في كتابة أول أجزائها عام ٢٠٠٤م، وقد صدر الجزء الخامس منها عام ٢٠١٥م.

وتنتمي **رواية "الوصايا" لعادل عصمت إلى رواية الأجيال**، إذ صدرت عام ٢٠٠٨م، ودخلت القائمة القصيرة لجائزة البوكر في عام ٢٠١٩م.

أما أحدث تجربة في هذا الفن فهي **رواية "ورثة آل الشيخ" لأحمد القرملاوي**، والتي تحكي قصة أسرة مصرية خلال فترة زمنية تمتد لتغطي خمسة أجيال في عائلة الشيخ.

التعريف بالمؤلف الكاتب "أحمد القرملاوي"[(١)]:

شرع أحمد القرملاوي في نشر أعماله الإبداعية منذ عام ٢٠١٢، حيث صدرت أولى تجاربه في يناير عام ٢٠١٣م في معرض القاهرة الدولي للكتاب عبارة عن مجموعة قصصية بعنوان "**أول عباس**"، وقد صدرت هذه المجموعة القصصية عن دار الرواق للنشر والتوزيع. وبعدها بعام نشر روايته الأولى "التدوينة الأخيرة" الصادرة عن الدار المصرية اللبنانية، ثم روايته الثانية "دستينو" في عام ٢٠١٥م، وبعدها روايته الثالثة "أمطار صيفية" عام ٢٠١٦م. كما حصلت روايته "**نداء أخير للركاب**" التي نُشرت في عام ٢٠١٨ على جائزة أفضل رواية في اليوبيل الذهبي، ثم صدرت له قبل نهاية عام ٢٠٢٠ **رواية "ورثة آل الشيخ"**، تلتها خلال عام ٢٠٢١م مجموعة قصصية.

---

(١) ولد أحمد القرملاوي في القاهرة، مصر في عام ١٩٧٨م، وانتقل مع عائلته إلى دولة الكويت حيث عاش وأكمل دراسته الثانوية فيها، حتى تخرج من المدرسة الأمريكية الدولية عام ١٩٩٦م، محققاً المركز الأول على مستوى الخليج العربي في البكالوريا الدولية (IB)، ثم عاد إلى مصر ليكمل تعليمه الجامعي، وتخرج في كلية الهندسة، قسم هندسة التشييد في الجامعة الأمريكية في القاهرة، وكان الأول على دفعة الهندسة عام ٢٠٠١م.

التعريف برواية "ورثة آل الشيخ":

تعد رواية "ورثة آل الشيخ" رواية أجيال، وتدور أحداثها ما بين نهاية القرن الـ١٩، والنصف الأول من القرن العشرين، حول أسطورة متوارثة في العائلة، هذه الأسطورة عن كنز يكتشفه أحد أبناءها ويدعى "محمد".

وتعد رواية "ورثة آل الشيخ" للكاتب أحمد القرملاوي، رحلة في الزمن، ومحاولة جادة للتأريخ لمن عاشها ولم يلتفت المؤرخون لهم.

وتدور أحداث قصة الرواية في الفترة ما بين القرن العشرين، ومنتصف القرن الحادي والعشرين، وتحكي في أجواء أسطورية رحلة البحث عن كنز قديم لإحدى العائلات الكبيرة، حيث اختزلت الرواية فترة طويلة جداً من الزمن والأحداث السياسية والتاريخية والاجتماعية، في سرد روائي سلس، ويرسم الروائي "أحمد القرملاوي" صورة شديدة الجمال والشفافية لعائلة "آل الشيخ" منذ الحرب العالمية وحتى نهاية الفترة الناصرية، بالتوازي مع حكاية الراوي التي تدور في الزمن الحاضر، وينتقل بين الحكايتين بانسيابية بالغة.

شجرة العائلة في الرواية "الأجيال الخمسة":

تمثل شجرة العائلة خمسة أجيال متتابعة، حيث تبدأ **بالجدر (الشيخ)**، وتنتهي **بالراوي (أحمد)**، الذي يرغب في كتابة رواية تحكي تاريخ عائلته. فيبحث عن تفاصيل كثيرة في ذكريات من حوله، ويكاد يشعر أثناء رحلته أن هذه الذكريات التي يلملمها تصنع ذاته من جديد.

النمط الاجتماعي لشخصيات الرواية:انقسم النمط الاجتماعي للأجيال في الرواية:

أولاً: الشيخ كامل والعائلة. **ثانياً:** شخصية الحكمدار صدقي بك رجل البوليس، وموته. **ثالثاً:** شخصية فاضل وهو صاحب المكان الأكبر لأنه هو الجد الأكبر لشخصية الراوي أحمد. **رابعاً:** شخصية نشأت الرومانسية، وضياع حبه الأبدي. **خامساً:** شخصية نعمات التي ظلمتها ديمومتها وقبحها، لتجعل منها

سيدة قوية تتحمل الصعاب من أجل عائلتها. **سادساً:** شخصية الجد حسين، وموضوع المطبعة.

وقد عبر الكاتب خلال الرواية عن تجربته الذاتية، ورسم خلالها شجرة لعائلته، بها استطاع الكاتب أن يحشد من الوسائل الفنية والجمالية ليكتب ما يُشبه التأريخ الإنساني، لأسرة من الطبقة المتوسطة بدأ تكوينها في أحد أحياء القاهرة العتيقة قبل أكثر من مائة عام.

شجرة العائلة في الرواية: من خلال راوٍ مهندس يكتب رواية حول تاريخ عائلته، ويُعد نفسه للهجرة ضد رغبة أسرته هرباً من إحباطاته، وتنمو من جذع هذه القصة فروع عديدة لقصص مختلفة في الماضي. وتحكي تاريخ عائلة ممتدة خلال أجيال متعاقبة، قصة الجد الأكبر، وأبنائه، والكنز المختبئ في البيت القديم. «تماماً مثلما كانت قصة شهرزاد وعلاقاتها بالملك شهريار قصة إطارية لمئات الحكايات والقصص الأخرى، إلا أن هذه القصة الإطارية في الرواية ترتبط عضوياً بقصة عائلة الشيخ وشخصياتها ارتباطاً فنياً قائماً على التداعي المنطقي والسببية، خالياً من القفز العشوائي أو سذاجة الانتقال»[1].

وتنقسم شجرة العائلة إلى:

١- **الجد الشيخ الأزهري:** تزوج ثلاث زوجات، أنجب من زوجته الأولى (صدقي بك)، ومن زوجته الثانية أنجب (الشيخ كامل)، أما زوجته التركية الثالثة أنجب (نعمات، ونشأت، ومختار، وفاضل).

٢- **صدقي بك وخديجة:** أنجبا أربعة أبناء هم (حسين وزبيدة وحسن وعلي).

٣- **نعمات:** لم تنجب أطفالاً. ٤- **مختار وجمالات:** أنجبا بنتين بدرية وروحية.

(١) أحمد القرملاوي، ورثة آل الشيخ، الدار العربية للكتاب، ط١، ٢٠٢٠م، ص ٣٦.

٥- **فاضل وهنومة:** أنجبا تسعة بنات والابن الأصغر محمد. ٦- **نشأت:** كان له ابن طبيب مشهور هو أحمد.

ثم في الجيل الثاني:

١- أنجب حسين ونجية ← أم أحمد.

٢- زبيدة وشاهر كانا متزوجين ولكن ليس لديهما أطفال، وقد توفي شاهر صغيراً.

٣- كان حسن ضعيفاً ومريضاً، ومات غير متزوج.

٤- ولم يتم ذكر الحالة الاجتماعية لعلي في الرواية.

٥- محمد وروحية أسسا إمبراطورية محمدا، وقد أنجبا أربعة عشر طفلاً، منهم سبعة أبناء، وسبع بنات، وكان جميع الأبناء الذكور أسماؤهم محمد.

ثم الأجيال اللاحقة التي تمثلت في العلاقات بين الشخصيات، وعلى رأسهم ابن الدكتور أحمد وهو زين، ثم أم أحمد ومحمد اللذان قد أنجبا المؤلف أحمد.

وهذه هي أجيال عائلة الشيخ المشاركة في الرواية.

العلاقات بين الشخصيات في الأجيال الخمسة في الرواية:

لقد تخللت الرواية قصص خمسة أجيال من الأشخاص، يرويها المؤلف، من خلال توضيح العلاقات بين هؤلاء الأشخاص، ويظهر اختلاف مصير الأجيال الخمسة: «فبوفاة صدقي بك بدأت الأسرة في التدهور، على الرغم من أن الأجيال القادمة لا تزال تتأثر بمجد وسلطة (صدقي بك) إلا أن العائلة بأكملها قد تراجعت حتماً»[١].

(١) مصطفى عبيد، رواية ورثة آل الشيخ، مرجع سابق، ص ٣٧.

ويورد القرملاوي: – تتذكر أمي صورة قديمة لجدها صدقي بيك الحكمدار. كان يرتدي بزَّة رسمية، ويُمسِك بقبضة سيفٍ رشيق، النياشين تُزين صدره، والسيور الذهبية معقودة أسفل كتفيه، والطربوش يميل ميلاً هُيناً جهة اليمين.

وقد ظهرت نماذج الشخصيات في الرواية بصورة معتادة، كثيرة الشبه بكل صور الشخصيات في المجتمع، فنجد هذه النماذج والأمثلة في الطريق وبين الأهل والأصدقاء، على اختلاف درجة قربهم، **فعلى سبيل المثال** (نموذج الشيخ) الذي أخذ حكمته من طول السنين، وكذلك (نموذج الحكمدار صدقي) الذي يطمع في ميراثه وميراث أخوته من أبيه، بل يصل به الحد إلى أن يصبح كارهاً لأخيه غير الشقيق الذي يدعم سلطة الحكومة ويؤيدها، ثم يظهر (نموذج كامل) المعتزل للحياة بكامل معاركها وأموالها، ويعطينا مثالاً آخر للمتشبث بالحياة وهو (مختار) الذي يطمع في الأفدنة، ويريد السيطرة على كل شيء، وفي الوقت نفسه هو الشخص الذي يرفض إنجاب البنات وينقم على زوجته لهذا السبب، ونموذج (فاضل) المسرف الذي لم يحافظ على ثروة أبيه وأوضاعها كلها، أما نموذج محمد العاشق الذي ضاعت عينه ثمنًا لجنون عشقه لزبيدة.

وترى الباحثة أن كل هذه الشخصيات قد ظهرت بصورة متميزة، منقولة من واقع أليم، يظل ثابتًا رغم مرور الزمن.

الأبعاد النفسية والجسمانية للشخوص:

إن دراسة الشخصية من المواضيع الأساسية في عالم الإنتاج الأدبي، فهي تُمثِل في كل الحالات موضع اهتمام ونقطة تركيز تقليدية، ومتوارثة للنقد القديم والمعاصر، لتعتبر الشخصية من أهم عناصر البنية السردية، وذلك لفاعليته في العمل السردي، فلا قصة بلا أفعال بدون شخصيات[١].

(١) جويدة حماش، بناء الشخصية في حكاية (عبدو والجماجم) لمصطفى فاس، مقاربة في السيميائيات، منشورات الأردن، ٢٠٠٧م، ص ٩٦.

ويعتبر عنصر الشخصية من أبرز العناصر التي تقوم عليها العملية السردية، فهي المحرك الأول والأساسي لأحداث الرواية.

«صار نشأت يأتنس للسجائر أكثر من مجالسة الناس، فقد تعود التدخين منذ أيام القتال، حيث كانت السلطات البريطانية توزع السجائر ضمن مؤونة الجنود»(١).

«مضت تنتظر عودة هنومة، وكانت الأخيرة قد راحت تطمئن على ابنتها النفساء المحمومة قبل وصول نعمات، فالبنت لا تُغادر سريرها ولا تقوى على رعاية الرضيع»(٢).

فالشخصية هي نسيج مركب من ثلاث مقومات، **وهي الجانب النفسي** الذي يشمل الحياة الباطنية والميول والرغبات الباطنية الخاصة بالشخصية، **والجانب الاجتماعي**، الذي يعكس واقع الشخصية، وأخيراً **الجانب الجسمي**، والذي يشمل كل مظاهر الشخصية الخارجية من مميزات وعيوب، **والجانب الفكري** الذي يهتم بأفكار الشخصية وعقيدتها وأيديولوجيتها.

وترى الباحثة أن على كل كاتب أثناء بناء شخصياته، لابد أن يراعي هذه الجوانب الأربعة لأنها هي التي تميز الشخصية عن غيرها من الشخصيات، وتمنحها الفرادة، والكاتب الناجح هو الذي يخصص لتلك الأبعاد.

وتعتبر الشخصية المحرك الأساسي للعمل السردي، ولذلك يتم النظر إليها من خلال مجموعة من الأبعاد وهي:

١- **البعد الجسدي (الفيزيولوجي):** ولهذا البعد أهمية كبرى في تحديد، وتوضيح ملامح الشخصية فهو مجموعة الصفات الخارجية الجسمانية التي تتصف

(١) أحمد القرملاوي، ورثة آل الشيخ، مصدر سابق، ص ٩٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٢.

بها كل شخصية سواء كانت هذه الأوصاف بطريقة مباشرة من طرف الكاتب، أو بطريقة غير مباشرة ضمنية مستنبطة من سلوكها كل تصرفاتها. «كان نشأت وسيماً شغوفاً بدهان شعره والاعتناء بأناقته، يحسبه الناس سليل أمراء حين يلتقونه، فقد ورث أكثر قسمات أمه التركية، وخصالها النبيلة والسيئة معاً»(١).

يتضح من النص السابق أن البعد الجسمي مهمته وصف الشخصيات من الناحية الشكلية الجسمية، كما تعتبر الكيان المادي لتشكيل الشخصية حيث تحدد فيه الملامح والصفات الخارجية.

فيرد القرملاوي: – لم يفته صلفها وعنجهيتها، ولا نشاطها وإقدامها المشهودان، فصار نسخة الست أم فاضل الرجولية، بجمالها وعنادها وكبريائها الأصيل. **وكذلك:** «كان جدي محمد بن فاضل مرشحاً قوياً لشغل مقعد الفتى المدلل في بيت الخرنفش، فقد تربى فوق وسادة جدة تركية ذات باع طويل في تدليل الذكور»(٢). **فمن النصين السابقين** يتعلق الجانب الجسمي بالجنس، والسن، والحالة المورفولوجية أي كل ما يتعلق بحالة الإنسان العضوية، وأبسط طريقة لوصف أي شخصية وتقديمها هي إيراد وصف جسماني لها، وموجز عن حياتها **والهدف من هذا البعد** هو توضيح الملامح الخارجية للقارئ، ومدى اتصالها بالشخصية هذا من جهة، ومن جهة ثانية رسم صورة الشخصية لدى القارئ فتصف الفقرة الأولى من النص الأول السابق المظهر الجسدي والنفسي لنشأت بأنه وسيم وشعره ناعم، ويهتم بالأناقة، وعندما يراه الناس يعتقدون أنه من نسل الأمير، وقد ورث معظم صفاته. وكذلك الأم التركية، وصفاتها الحميدة

(١)أحمد القرملاوي، ورثة آل الشيخ، مصدر سابق، ص ٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٩.

والسيئة، لم ينقصه كبرياءها وطاقتها الملفتة، وشجاعتها، فأصبح هو النظير الذكر للسيدة أم فاضل، بجمالها وعنادها وكبريائها الحقيقي. ثم ينتقل **في النص الثاني** لوصف مظهر محمد بن فاضل:

– فضلاً عن كونه ابناً وحيداً على تسع بنات، وآخر عنقود أبيه وأمه، وفوق ذلك كان جميلاً ذا عينين زرقاوين ناعستين، ووجنتين بيضاوين في نعومة البفتة البيضاء، غير أن طبعه الناري وميله الجارف لاستكشاف المجهول حصَّناه من ذاك المصير البائس لشاب مدلل ينبث في أعطاف الجمالية والموسكي.

فيصف الكاتب البعد الجسدي لشكل محمد بن فاضل، والذي بدوره أثر في التنبؤ بمصيره، والذي جاء مغايراً تماماً، فهو جميل ذو عيون زرقاء، وخدود بيضاء، ويصفه بأنه ناعم، ومع ذلك لم يكن هو الولد المدلل الشبيه بالبنات التسع اللاتي سبقوه، لكنه كان عنيداً متعجرفاً. «وإذا بوجهها يحتقن كحبة طماطم تشارف النضج والعطب معاً، ونهنهة البكاء تُغالب أنفاسها طوال الوقت، تتربع على جلسة شباكها المُطل على الحوش»[١].

ويقارن هذا المقطع وجه والدة نشأت الست (أم فاضل) بالطماطم الناضجة التي على وشك الانفجار. – وتفتح كوة المشربية، ثم تسند خدَّها بيدها الممصوصة كعود القصب، وتهدهد الصمت كأنه رضيع ينام يُطل على الحوش كلما سمعت حفيف شبشب أو برطمة خادم، أو صوت ارتطام شيء ألقت به المسكينة أم صدقي في فضاء الحوش، فتمصمص بشفتيها وتعود لجلستها دون أن تنبس بكلمة، وتتماثل وتنتظر كأنما تحرش الوحشة.

(١) أحمد القرملاوي، ورثة آل الشيخ، مصدر سابق، ص ٩١.

ومن خلال وصف مظهر الشخصية وحركاتها (تتربع – تفتح – تسند – تهدهد – تمصمص – تعود – تنبس – تتماثل – تنتظر)، فإنه يعكس ذعر وارتباك أم فاضل.

ومن الوصف الجسدي أيضاً (وصف نعمات الجسدي): – لم تكن في حلاوة أمها التركية الست أم فاضل، فقد ورثت عن أبيها الشيخ سُمرة بشرته، وجبهته العريضة المفلطحة، حتى قدما الكبيرتان تسللتا لقدميها.

هنا هو الوصف المادي لنعمات، لم تكن جميلة، وكانت ذات بشرة سمراء وجبهة عريضة، وكانت ذات أقدام كبيرة. «فصارتا وصمتها المثيرة للتندر كلما جيء بالصرماتي قبل الأعياد ليرسم أقدام الصغار»[١]. وقد تعرضت للسخرية والنبذ لأنها ورثت قدم والدها الكبيرة. يبدو أن الوصف البسيط للمؤلف لمظهر الشخصية يحدد أيضاً مصيرها.

ويذكر الوصف الجسدي "لشخصية زبيدة": «ومع ذلك دليل زبيدة فأحسن تدليلها، فقد كانت ذات جاذبية آسرة تحمر وقت البكاء، كأطفال الإنجليز، وتضحك بصوت رقراق كالماء المنساب من عين حلوان»[٢].

جاء هذا النص لوصف زبيدة، فهي ساخرة للغاية، ويستخدم المؤلف احمرار وجه طفلة الإنجليز ليقارن بها طريقة بكائها، وستخدم صوت المياه المتدفقة في عين حلوان ليقارن بين ابتسامتها الناعمة والجميلة بالمقارنة مع وصف مظهر نعمات، فيبدو أن زبيدة ولدت لتجذب انتباه العيون، وتحظى بمحبة الجميع.

(١) أحمد القرملاوي، ورثة آل الشيخ، مصدر سابق، ص ٣٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣٧.

ثم يذكر الفرق بين الوصف الجسدي للرجل والمرأة، وتميز الرجل بقوة البدن عن ضعف وقلة حيلة المرأة: «لكن قوتها بدأت تخور بعد خطوات، وأبصرت مدفن الأسرة آخذاً في الابتعاد كلما اقتربت الجنازة، كما حست بالمقبض الخشبي المخروط يغوص في كتفها، ويهبط بها لباطن الأرض التي راحت تلين تحت قدميها»[١].

بعد وفاة زوجها أصرت زبيدة على حمل نعش زوجها، ووصف التصرفات هنا يعكس صعوبة زبيدة كامرأة تحمل النعش، لأن النعش ثقيل جداً، كان جسدها تقريباً مضغوطاً في التربة بواسطة التابوت، وكان من الصعب جداً عليها التنفس، ولكنها كانت ما تزال مُصرة على حمل التابوت، مما يعكس تأثير وفاة زوجها عليها وحبها العميق له. «ما عاينته يقيناً هي تلك اليد الشديدة التي برزت من جانبها ورفعت مقبض الخشبة عن كتفها المترنحة، واليد الأخرى المماثلة التي سحبتها بنعومة خارج القافلة قبل سقوطها المُحتم، في اللحظة التي لمحت فيها وجهاً يحتل مكانها أسفل النعش»[٢]. **فيصف في النص السابق** السمة الجسدية الفريدة لمحمد، عين زرقاء ماثلة يقوم المؤلف بإنشاء مظهره وصورته الفريدة، والتي يمكن أن تجعل القراء يشكلون ذكريات عميقة.

٢- **البعد الفكري:** ويُقصد به «الانتماء لدى الشخصية أو عقيدتها الدينية والأيديولوجية، وهويتها وتكوينها الثقافي، وما لها من تأثير في سلوكها ورؤيتها وتحديد وعيها وموقفها من المواقف البعيدة»[٣]. فيورد القرملاوي: تقدم خطوات نحو الماكينة، واستولت عليها الدهشة إذ لمح العكاز الآخر

(١) أحمد القرملاوي، ورثة آل الشيخ، مصدر سابق ، ص ٢٤٧.

(٢) أحمد القرملاوي، ورثة آل الشيخ، مصدر سابق، ص ٢٤٨.

(٣) محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠م، ص ٤٧.

مشدوداً بين دواسة الماكينة وذقن أخيه حسن؛ كانت الدواسة تعلو وتهبط بانتظام مُستجيبة لحركة الذقن المتكئة فوق مقبض العكاز.

أي أن لتصوير الملامح الفكرية للشخصية له أهمية كبيرة في العمل السردي على مستوى التكوين الفني؛ إذ تعد السمة الجوهرية لتميز الشخصيات بعضها عن بعض، وكلما اعتنت بمكوناتها الفكرية، كانت أكثر تميزاً.

ويعد التصوير الفكري للشخصية ذا أهمية بالغة في جانبها البنائي، لأن الملامح الفكرية تكشف لنا الشخصية، وحالتها الذهنية، وتفسر ردود فعلها وتوجهاتها، ويمكن توضيح البعد الفكري من خلال الشخصيات الرئيسة والثانوية على حد سواء.

ومن ذلك: – أفشل في أداء دور وكيل المبيعات، الذي يجيد استدراج الزبون، وغلق الصفقة من أقصر طريق، عادة ما يلعب على حبلين: طمع الزبون، وتهوين الثمن.

أما البعد الفكري للشخصيات الثانوية فيتمثل في جبهتين:أكسبت الجبهتان الرواية وأبطالها مناخاً فلسفياً، وفكرياً عاماً، وتلك الشخصيات تتمثل بقطبي الصراع، **الجبهة الأولى** هي علاقة الخير والمحبة البريئة الصافية، **والثانية** هي العلاقة التي تدعو إلى العمل، وإلى سلك الطريق الذي يؤدي إلى البحث الصحيح، ومن ثم إلى المقصود والهدف.

٣- **البعد الاجتماعي:** تظهر الحالة الاجتماعية للشخصية من خلال علاقتها مع غيرها من الشخصيات كما يبرز البعد الاجتماعي للشخصية من خلال الصراع بين الشخوص والذي نقل حدته بين شخوص الفئة الواحدة[١]. «كان يعشق الآلات، ويحلم بأن يصير مهندساً ومخترعاً لا يقل نباهة عن هنري

(١) محمد بوعزة، تحليل النص السردي، مصدر سابق، ص ٤٨.

فورد، الذي تحمل سيارة أبيه اسمه مكتوباً بخط رشيق مائل على شبكة الراديا تير الأمامية»[١].

وهذا البعد للشخصية يظهر من خلال تقديم وتصوير الكاتب لها، حين تتعلق بمعلومات حول وضع الشخصية الاجتماعية، وأيديولوجياتها وعلاقاتها الاجتماعية المهنة وطبقتها الاجتماعية ووضعها الاجتماعي مثل الغنى والفقر.

فهو يهتم بتصوير الشخصية من خلال مركزها الاجتماعي وثقافاتها وميولها والوسط الذي تتحرك فيه.

فيورد: ويوم مات أبوها، لم تكن زبيدة قد أتمت الخامسة، واستمرت تجهل حقيقة موته حتى بلغت التاسعة، فقد اتفقوا ألا يخبروها بوفاة أبيها قبل تعلمها الصلاة والصوم.

ويشمل كل ما يحيط بالشخصية، ويؤثر في سلوكياتها وأفعالها، حيث أنه يمكن أن يُعرف من خلاله كل ما يتعلق بحياة الشخصية.

وترى الباحثة أن الغاية من البعد الاجتماعي هي أن يصور الحالة الاجتماعية الدقيقة للشخصية سواء كانت غنية أم فقيرة، والوسط الاجتماعي الذي تعيش فيه، وتواكب أحداثه لحظة بلحظة.

٤- **البعد النفسي:** هو البعد النفسي أو ما يُسمى بالسيكولوجي، وهو الجانب الذي يعكس الحالة النفسية للشخصية فهو المحكي الذي يقوم به السارد لحركات الحياة الداخلية التي لا تعبر عنها الشخصية بالضرورة عن طريق الكلام، أنه يكشف عما تكشف عليه الشخصية دون أن تقوله بوضوح أو هو ما تخفيه عن نفسها[٢].

---

(١) المصدر السابق، ص ١٠٥.

(٢) أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر، دار الولاء للتوزيع والنشر، ط٤، ٢٠٢٣م، ص ٦٨.

كما يتضمن النص السردي الأوصاف الداخلية والتي يبدع السارد الخارجي في تقديمها بناء على قدرته في معرفة ما يدور في ذهن الشخصية وأعماقها.

أي أن السارد هو الذي يقوم بإبراز ما يدور في ذهن الشخصية وأحوالها النفسية من مشاعر وعواطف وطبائع وسلوكيات، ومواقفها من القضايا التي تحيط بها، ولأن الشخصية من أصعب معاني علم النفس تعقيداً وتركيباً وذلك لأنها تشمل كل الصفات الجسمية والوجدانية والخلقية. «كان حاسماً لدرجة ألجمت علي عن الكلام. لا أمل في محاورة عين محمد الزرقاوين المتقدتين حقداً وشراً، ليتني ما أخبرته، هكذا حدث على نفسه»(١).

يتمثل البعد النفسي في طابع الشخصية وما يميزها عن باقي الشخصيات، كما يتجسد أيضاً ما تقوم به، وتقوله، وما يظهر عليها من انفعالات مثل (الحزن، والفرح، والغضب).

وترى الباحثة أن هذا البعد (البعد النفسي) يُعد ثمرة البعدين السابقين، والذي يحمل كياناً اجتماعياً وجسمانياً، ويُمثل البعد النفسي من خلال إبراز الصراع الداخلي، وذلك في أشكال الحوارات الداخلية المختلفة.

ويرد في الرواية: وتساءل إن كان الأصوب أن يُخبر حسين، حتى يحول دون جنوح محمد، لكنه خشي أن يُفسد الأمر فوق ما أفسده، وانتهى لأن يُفوض أمره إلى الله، وليكن ما يكون. **فمن النص السابق:** يعكس الوصف النفسي للشخصيات الصراعات الداخلية لهم، وعجزهم العميق بعدما حدث، فحديث (علي) وندمه على إخبار محمد عن زبيدة، وحيرته في هل كان يجب عليه أن يخبر أخيه الحسين، فقد أدرك خطورة المشكلة، ولم يستطع أن يحمل العواقب

(١) أحمد القرملاوي، ورثة آل الشيخ، مصدر سابق، ص ١٦٥.

لوحده وقرر أن يترك الأمر لله، وهذا الأمر هو الذي مهد لاعتقال محمد لاحقاً، ودفع محمد ثمن ذلك، وهو الذي نشأ عن الصراع النفسي عند (علي).

ومن الوصف النفسي في الرواية: – وما إن أفلته حتى خلع سترته ورابطة عنقه، ومضى يحبو نحو باحة البيت، ويتسلم السلم المفضي إلى السطح، وقف مسنوداً على السور المطل جهة بيت جراسيا، يرمق الظلال الدخانية التي ظلت ترقى بصمت صوب السماء، يا نهاركم أسود! ابتلع الصدمة، وهبط عائداً حيث ترك أخاه، وجره إلى الخارج ليبحثا عن محمد.

فاستخدام الكاتب لجملة (يا نهاركم أسود) جاءت تعبيراً عن الوصف النفسي لإحساس حسين، فقد عكست هذه الجملة عن صدمته، وفزعه بعد معرفة حقيقة الأمر، وفي الوقت نفسه كان يفكر بهدوء في كيفية حل المشكلة حرفياً.

«فاستمر يُفضي إليها في الخطابات، كأنه يُخاطب الحياة نفسها؛ تلك الحياة التي أخذت من حبيبته، كما ظل يُسائل نفسه بلوم أليم هل كان الله ليسخط عليه لو أنه نطق بإجابة تريح ليليت، وتستبقيها معه؟»[(١)].

كان نشأت مهووساً بعلاقته الغرامية الفاشلة مع ليليت طوال حياته، وذلك بسبب المشاكل الدينية على الرغم من أنهما أحب بعضهما البعض، إلا أنهما لم يتمكنا من اللقاء في النهاية وأصبح هذا ندماً شديداً عند نشأت مدى الحياة.

وكان هذا هو الصراع النفسي النهائي بين اختيار الحب الحقيقي أو المعتقد الديني، الأمر الذي شكَّل عقدة مستعصية ظلت تؤرق نشأت طوال حياته.

ومن ملامح هذا الصراع النفسي: – هل يدفنها شاهر قبل أن تدفنه؟ تساءلت حين بدأت مُلوحة العرق تحرق عينيها وقوة خفية تسحبها لأسفل، بل إنها كادت تهوى بالنعش، فقد هبطت كتفها مسافة شبر أخلت بالتوازن. ويشتد

(١) أحمد القرملاوي، ورثة آل الشيخ، مصدر سابق، ص ٢٠٩.

الصراع النفسي الداخلي لدى زبيدة فتساءل نفسها: «هل يتركونها تسقط عقاباً لها على العناد؟! أكانت تترنح فعلاً أم أنها تخيلت ذلك؟»[١].

من النصين السابقين يظهر الألم النفسي الذي عاشته زبيدة عندما أصرت على حمل نعش زوجها المتوفي، وكامرأة ضعيفة كان النعش ثقيلاً جداً عليها، كما أن نفسها كانت غارقة في الحزن، الذي لم تجد له نهاية لفقدان زوجها. فتبدأ في الشعور بالإرهاق الجسدي والنفسي، كما أن القلق قد لازمها خوفاً أن تقع على ألأرض، وتخور قواها فتتسبب في فقدان الفريق إلى توازنه، وهكذا فإن بروز الألم الجسدي والنفسي على كاهل هذه المرأة الضعيفة، يدفع القراء إلى التعاطف والحزن على زبيدة بسبب تجربتها الصعبة.

وتؤيد الباحثة الرأي القائل: أن هذه الأبعاد متداخلة فيما بينها يؤثر كل منهما على الآخر، ويتأثر به، أما المظهر الخارجي كاختيار الثياب فهي تُعبر عن ذوق صاحبها، وكذا مستواه الاجتماعي، في نفس الوقت. **كما أنه** لا يمكن لأي شخصية أن تكون «منعدمة من هذه الأبعاد الأربعة، فهي مجموعة من الصفات النفسية والجسدية موروثة كانت أو مكتسبة، كالعادات، والتقاليد، والقيم، والعواطف»[٢]. **وتؤكد الباحثة أنه** لا يمكن الاستغناء عن هذه الأبعاد الأربعة الأساسية في عملية تكوين الشخصية، فهي مزيج مركب تمثل أبعاد الشخصية الأدبية.

الحضور النسوي عبر الأجيال:

نجح الكاتب أحمد القرملاوي في إبراز وجود المرأة أثناء السرد جاعلاً إياها أساس الحياة، بل وهي أيضاً الباعث على استمرارها. **وتعددت صور الحضور**

(١) أحمد القرملاوي، ورثة آل الشيخ، مصدر سابق، ص ٢٤٨.

(٢) أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، مرجع سابق، ص ٩٣.

النسوي عبر الأجيال في رواية "ورثة آل الشيخ" ومنها: أولاً: صورها بصفتها شريكاً فاعلاً. **ثانياً:** صانعاً ودافعاً رئيسياً في أحداث الرواية. **ثالثاً:** تجسدت الشخوص النسائية في هيئات متباينة تتناسب مع سُنة الاختلاف في الحياة التي تسري بلا شك على أهلها المتعاقبة سنينهم.

أوجه التباين بين الشخصيات النسائية في رواية ورثة آل الشيخ:

كانت المرأة في الرواية لا تشبه أخرى، فهناك أم فاضل السيدة الجميلة التي تعود أصولها إلى تركيا، ونعمات وهنومة وزبيدة وغيرهن من الشخصيات النسائية في السرد، وتختلف جميعهن فلا تتشابهن في طباع أو سمات شخصية أو ملامح شكلية.

لقد أبرز الكاتب حضور المرأة في النص بما يتسق مع كونها أصل الحياة وباعث امتدادها ومستودعاً تخرج منه الأجيال، فجعل فيها شريكاً فاعلاً، وصانعاً ومحركاً رئيساً للأحداث عبر رحلة السرد. **وهذا ما ظهر في رواية "ورثة آل الشيخ" فلا امرأة تشبه الأخرى، وهكذا حال النساء في النص:** – لا نعمات المحبة الحنون التي تمنح الجميع دفء الأم على رغم ما تجرعته من قسوة الحياة وظلم الزوج وحرمان الأبناء، كـ (هنومة) الجميلة المعتدة بجمالها ومحبة زوجها. **وترى الباحثة أن** جميع هذه الشخصيات نألفها، ونعرفها، ويكررها الواقع الحياتي بل وتعيد الحياة إنتاجها، فلا تكاد تخلو عائلة مصرية من تلك الجدة الطيبة، التي تترك بابها مفتوحاً للقاصي والداني، وكم من فتاة في حياتنا تمردت على الواقع وكلها أمل في تجسيد أحلامها البعيدة.

تفصيل الحضور النسوي لشخصيات الرواية:

١ – **شخصية نعمات:** مثَّلت صورة للمرأة في العصر الحديث، والتي يتناقض مصيرها وقدرتها إلى حد كبير. **من حيث المظهر** فإن بشرة نعمات الداكنة، وجبهتها المسطحة، وزوج من الأقدام الكبيرة الموروثة من والدها، تحدد أنها ليست جميلة بالمعنى التقليدي. تزوجت نعمات من أرمل في وقت مبكر

جداً، وتعرضت للتعذيب على يد زوجها في هذا الزواج، وحرمتها الرغبة الجنسية غير الطبيعية لزوجها من تكوين أسرة مثالية.

– فلم تكن في حلاوة أمها التركية، الست أم فاضل، فقد ورثت عن أبيها الشيخ سُمرة بشرته، وجبهته العريضة المفلطحة، حتى قدماه الكبيرتان تسللتا لقدميها.

ونجت من براثن زوجها بصعوبة، في مواجهة سوء الحظ والحقيقة، فهو مثابر وشجاع ولطيف، وبعد نجاتها من الموت عادت إلى منزلها لتعتني بكل شيء في منزلها وتساعد الجميع، وبكل ما تستطيع نعمات التي امتلأت بذكاء الأمومة منذ الصغر، فكانت والدة أخيها، ووالدة أبيها، حتى أنها كادت تكون أم والدتها، إلا أن زواجها المؤسف قُدر لها أن يحول دون استغلال ذكائها الأمومي في أبنائها، فكانت هذه هي المأساة التي عاشتها.

علاقة نعمات بأخواتها وأسرتها: كانت نعمات تتمتع بشجاعة الرجال، فعندما أصبح رجال الأسرة يتركون الأسرة واحداً تلو الآخر أو يصبحوا غير قادرين أن يكونوا الدعامة الأساسية للأسرة، فقد مات صدقي بك في الحرب، فقد ترك المنزل للانضمام إلى الجيش وأصبح معاقاً، في حين اختفى فاضل في ظروف غامضة وسط بضع كلمات عتاب من زوجته، ومختار لم يحقق أي شيء، بعد أن اتبع شقيقته نعمات لكسب لقمة العيش، محمد الذي كان الوعد الأكبر بوراثة هيبة ومكانة صدقي بك، فقد حلمه في أن يصبح شرطياً تحت الاضطهاد من الآخرين.

وهكذا أصبحت جميع نساء الأسرة في حالة فوضى وفي حيرة ولكن وحدها هي التي تتحمل المسئولية الثقيلة، ولديها القدرة على حل مشاكل الأسرة، وبعد الحرب العالمية قامت ببناء أحواض مياه للحيوانات، وشق الطرق، وحتى إنها لاحظت وجود أطفال لا يتلقون التعليم، فكان لديها بالفعل فكرة لتنشيط الريف، وتطوير التعليم، فكانت امرأة مذهلة. «أما نعمات، فقد أبدت صلابة غير

متوقعة منذ عادت لبيت الخرنفش، واستمرت ترعى أبويها حتى رحلا، ولا تتوانى عن طبخ الطعام للست أم صدقي كبرى زوجات أبيها الشيخ حين هرمت»[١].

وترى الباحثة أن شخصية نعمات هي كنز (المرأة المصرية)، فهي مزيج من الطيبة والذكاء، كانت لطيفة في كل شيء، ولها عقل عظيم، وكانت جديرة بالثقة، ويمكن الاعتماد عليها، وعندما عاشت في المدينة البعيدة كانت الملاذ الآمن للجميع، ومثّلت أمل المرأة في العصر الجديد.

٢- **شخصية زبيدة:** هي امرأة ساحرة متأثرة بشدة بالثقافة الغربية، فهي امرأة جميلة وحساسة ولطيفة وساحرة، ومتأثرة بشدة بالثقافة الفرنسية، كانت محبوبة للغاية من قِبل والدها عندما كانت طفلة، كانت لا تهتم بكنوز العائلة التي يبحث عنها أخوتها بل إنها كانت تكره سلوكهم غير الواقعي في البحث عن الكنوز، وكان تأثرها بالثقافة الأوروبية خير دافع لها لكي تُعلم الناس في المجتمع الحديث، كيف يتمتعون بالحرية والرخاء، فدائماً ما كانت تتحدث عن المجتمع الصناعي وأنه لا توجد قيود على السيارات والطائرات، كما أنه لا توجد قيود على الأفكار والملابس، لم تكن ترتدي الملابس النسائية المصرية التقليدية في ذلك العصر، بل قلدت أحدث صيحات الموضة الباريسية في خياطة الملابس لنفسها ولعائلتها، وكانت تريد أن تصبح نجمة أزياء.

وورد في الرواية أن كانت ولادة زبيدة سبباً في عودة الأمور لمجراها الأول بين صدقي بك وفاضل أفندي، فقد أقبل أخوهما الشيخ كامل من الفيوم لتهنئة أخيه البيك بمولودته.

(١) أحمد القرملاوي، ورثة آل الشيخ، مصدر سابق، ص ٤٢.

علاقة زبيدة بأخواتها وأسرتها: بعد إصابة محمد، والتي تسببت هي في تدمير مستقبله، واختفاء فاضل، واستغلال عم صديقتها الطيبة (أفريم) لها، تدهورت حالة زبيدة بشكل حاد وأصبحت موضع إدانة صامتة من قبل الجميع، لكن حسن وحده هو الذي شجعها على البهجة، ومواصلة تحقيق حلمها في أن تصبح نجمة، لكن زبيدة رفضت، واستمر حسن في تشجيعها لكي تذهب إلى المدرسة، الأمر الذي بدوره جلب ضوءاً جديداً في حياتها. التقت بأستاذ جامعي وسيم وعريق، اختار الزواج منها، كانت زبيدة سعيدة جداً بعد الزواج، وكان زوجها شخصاً محترماً، وعاشت معه حياة مريحة جداً، لكن الأوقات الطيبة لم تدم طويلاً، فقد توفى زوجها صغيراً، وكانت زبيدة حزينة للغاية، وبعد وفاة زوجها، أصرت زبيدة على حمل النعش لزوجها، مما يعكس حبه العميق لزوجها. «وفي نهار اليوم التالي قاموا بالغُسل والتكفين والتجهيز، وحملوا النعش قبل الظهر عازمين على الصلاة عليه في القرافة، وشرع حسين يتأهب للدفنة في ساعة مبكرة، وما إن أخبر زبيدة بنيتهم دفن المرحوم بعد صلاة الظهر، وبضرورة التزامها بما اتفقوا عليه من عدم حضور الحريم، حتى انفجرت فيه صارخة باكية، وأقسمت أن تُرافق زوجها حتى مثواه الأخير لن يحمل أحد غيري نعش شاهر فاهمين»[١].

– إن شخصية زبيدة هي امرأة ذات أفكار متقدمة، ولكن مُقدر لها أيضاً أن تكون شخصية مأساوية، فلم يكن المجتمع المصري يتقبل أفكارها المتقدمة في ذلك الوقت، وأيضاً تحطمت قيمتها الذاتية، بعد أن اعتبرت زوجها هو خلاصها وأصبحت وفاة زوجها هي الرصاصة التي دمرت حياتها، لقد تحررت من أغلال

(١) أحمد القرملاوي، ورثة آل الشيخ، مصدر سابق، ص ٢٤٦، ٢٤٧.

التقاليد، ولكنها وقعت في براثن ظلم القدر لها، فقد مات الأشخاص الذين أحبوها أكثر واحداً تلو الآخر، تاركين قلبها مكسوراً.

٣- **شخصية روحية:** هي امرأة مصرية بنمط تقليدي تعمل من أجل أسرتها طوال حياتها، إنها الجدة روحية مثال النساء اللاتي لا يستطعن التوقف عن العمل ليلاً ونهاراً من أجل الأسرة. «ففتت رحيق الأمومة في صورته البكر، وكانت عنيدة وقوية، وبعد ولادتها في منتصف الليل قامت لتنظيف البيت عند الفجر»[١]. وكانت عطوفة وطيبة القلب، كانت تشجع على كثرة الإنجاب، وتقول أنه كنز الأسرة، فقد كانت هادئة وقوية، وتأخذ الوضع العام بعين الاعتبار، وبعد وفاة زوجها قامت بتثبيت الأطفال بهدوء، لتكمل جنازة زوجها بطريقة منظمة، ولم تدع أي شخص من الأقارب والأصدقاء يرونها وهي تذرف دمعة واحدة.

وعن الحضور النسوي في هذا الجيل الأول ترى الباحثة الآتي:

نعمات ← مثال للمرأة المتميزة في الرواية، امرأة مثابرة، طيبة القلب نقية، متواضعة، عاشت الحياة الصعبة، والمكانة التي دعمتها بالنضال.

زبيدة ←عاشت حياة صعبة، فقدت من أحبت، وأطعمتها الدنيا مرارة الفراق.

روحية ← هي مثال للمرأة العربية المثابرة التقليدية، المحافظة على النسل، تقوم بالأعمال المنزلية والحفاظ على العادات التقليدية حتى آخر لحظة في حياتها.

كلهن نساء لديهن الشجاعة لتغيير الوضع الراهن، وتغيير مصيرهن، لكن بسبب قيود العصر فشلن.

---

(١) المصدر السابق، ص ١٣.

٤- **شخصية والدة الراوي:** وهي مثال للمرأة في العصر الجديد، التي واكبت العصر، وكان لديها الجرأة على اختراق التقاليد، آمنت بالرؤى والتنبؤات، كرهت أجواء الريف، ومع ذلك قدرت الممتلكات ومع ذلك لم تتردد في بيع المنزل في الريف. «في الرؤيا يا بنتي دي رؤيا صادقة، ستُنجبين الولد، وتُسمينه أحمد، مازحتها عمتي "طيب ما نسميه محمد ليكتشف الكنز، فقالت جدتي روحية بيقينها الثابت: بل إنه هو الكنز، هكذا احتفظوا بي، وأطعموا أمي الكثير من السمك حتى فُطمت»[١].

كانت أم الراوي امرأة لطيفة، منظمة، دقيقة، ومجتهدة في عملها، كانت تجلس أمام ماكينة الخياطة الخاصة بها، ورفضت أخذ قسط من الراحة لسنوات عديدة.

وترى الباحثة أن أم الراوي مثال للمرأة العصرية، فأصبحت تطلب الفاكهة عبر الهاتف وتذهب إلى السينما مع الأصدقاء لمشاهدة الأفلام، وتشرب القهوة، وتتقبل الأشياء الجديدة باستمرار.

(١) أحمد القرملاوي، ورثة آل الشيخ، مصدر سابق، ص ١٥.

صراع الشخصيات

في معجم لسان العرب لابن منظور: عُرف الصراع بأنه من الفعل (صرع) «الصرع الصرع بالأرض، وخصه في التهذيب بالإنسان، صارعه فصرعه يصرعه صرعاً وصرعاً»(١).

أما في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: فقد عُرف الصراع بأنه التصادم بين الشخصيات أو النزاعات الذي يؤدي إلى الحدث في المسرحية أو القصة، وقد يكون هذا التصادم داخلياً في نفس إحدى الشخصيات، أو بين إحدى الشخصيات، وقوى خارجية كالقدر أو البيئة، أو بين شخصيتين.

والصراع في الاصطلاح: «هو تنافس فكري بين تيارين متناقضين فكل تيار يحاول أن يدافع عن رأيه الخاص»(٢).

صراع الشخصيات في رواية "ورثة آل الشيخ":

١- صراع الشخصيات الناتج عن بيت الخرنفش وممتلكات الشيخ: نشأت خلافات بين زوجات الشيخ الثلاث حول تقسيم ممتلكات الأسرة فأراد الشيخ مغادرة منزل الخرنفش تاركاً إياه لأم فاضل، مما أثار استياء أم صدقي، فشب الصراع بين أم صدقي وأم فاضل لتقرر بعدها أم فاضل أن يكون المنزل لابنها، وحاولت إبعاد صدقي عن ذلك.

وأدت المشاكل والصراعات القائمة على المنزل والممتلكات إلى توتر العلاقة بين الأخوة الثلاثة، ولكن ساهمت ولادة زبيدة في تسهيل العلاقة وعودة الاتصال بين الأخوة الثلاثة مرة أخرى.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، مادة (صرع).

(٢) علال سنقومة، المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة، رابطة كتاب الاختلاف، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٣٧.

ثم في جيل المؤلف (الراوي) أحمد يبذل قصارى جهده لإنقاذ البيت في البلدة، وكان جميع أفراد الأسرة يؤيدون بيع البيت القديم، وحتى أم أحمد أيدت بيع المنزل بقوة. «تميل أمي نحو البيع بأي ثمن، من غير المعتاد أن تتنازل بسهولة عن أملاكها، تتشبث بها كأنها أولادها، ننتزعها من بيت أضراسها حين نصل لاتفاق نهائي»[1]. **ويشير الراوي إلى** تعجبه من تفريط أمه بالبيت، رغم أنه لا يعرف عنها ذلك في السابق، بل هي دائمة التمسك بأملاكها. فيرد في الرواية: بيت البلدة هو استثناؤها الوحيد، ترغب في بيعه في أسرع وقت، نصيبنا في البيت والأرض المحيطة به لا يتعدى الخمس، ومهما وفقنا في البيعة فلن يدخل جيوبنا ثمن يُذكر، أتعجب من سعيها للخلاص منه بهذا الحماس.

ويعلل الراوي استغرابه من موافقة أمه على البيع، فالأمر لا يتعلق بالمال فنصيبهم لن يجدي ربحاً عالياً، فلماذا هي إذن تريد البيع، ثم يجد التفسير المنطقي لرغبتها في البيع وهو أنها تكره أجواء الريف بكل تفاصيلها.

فيقول: – أتريد أن تقطع علينا طريق البلدة بغير رجعة؟ ربما فأمي تأنف أجواء البلدة بعدد لسعات الناموس التي ألهبت جلدها الحساس، بحجم تأففها سنوات لم نعد نحصيها، لكنها تفتأ تتذكره. ثم يشر إلى الأسباب الأكبر من ذلك وهي بعض خلافات أبيه مع المستأجرين في الأرض أو صفقاته الخاسرة في البلدة، فقد جمعت أمه كل ذلك من أجل تعزيز كرهها للبلدة.

٢– **صراع الشخصيات بعد وفاة صدقي:** تسببت وفاة صدقي من سلسلة من الصراعات الشخصية، حين اختلفت ردود الأفعال تجاه وفاته، خدمت هذه الصراعات تطور الحبكة الدرامية في الرواية لأن موته شكَّل نقطة تحول مهمة للعائلة بأكملها في الرواية.

(١) أحمد القرملاوي، ورثة آل الشيخ، مصدر سابق، ص ٣٢.

ومن الصراعات التي خلفت بعد وفاة صدقي:

أولاً: سحب فاضل الأطفال إلى غرفة جدتهم ورفض أن يخرجوا ثانية ولم يُسمح لهم باللعب خارج المنزل أو في الفناء.

ثانياً: كانت هنومة خائفة جداً عندما مات صدقي.

ثالثاً: أصيبت أم صدقي بالجنون بعد علمها بالخبر، وشتمت البريطانيين بلا ضمير.

رابعاً: لم يعد فاضل قادراً على العيش في نفس الحياة المترفة التي كان عليها من قبل، فلم يعد يبقى خارج المنزل إلا في العمل، ويعود بعد الخروج من العمل مباشرة إلى البيت.

خامساً: أصبحت نعمات مسئولة عن والدتها، فقد كانت تتنقل ذهاباً وإياباً بين البلدة الصغيرة ومنزل والدتها لأنه كان عليها رعاية والدتها.

سادساً: شعور علي أن موت صدقي كان عقاباً له، ومن ذلك قوله: – تتذكر أمي صورة قديمة لجدها صدقي بيك الحكمدار، كان يرتدي بزة رسمية، ويمسك بقبضة سيف رشيق، النياشين تُزين صدره والسيور الذهبية معقودة أسفل كتفيه.

٣- **الصراع الشخصي بين زبيدة ومحمد بسبب الحب المضاد:** كان حب محمد لزبيدة نقياً وكبيراً، لقد كان دائماً في طليعة كل ما يتعلق بزبيدة، بل كان حبه لها أعمى، وعندما علم أن زبيدة كانت تُستغل من قِبل إفريم عم صديقتها العزيزة (جراسيا) لعرض صورها الفنية على الحائط مع صور الخادمات والراقصات، خطط محمد لإحراق المنزل الذي يعيش فيه إفريم، ودفع ثمناً باهظاً لذلك. ومع ذلك خانت زبيدة محمد الذي حاول أن ينتقم لها.

– اندفعت زبيدة تُبرئ ساحة أخويها بكل طريقة ممكنة، فأقسمت لجراسيا أن حسين وعلي لم يبرحا البيت ليلة الحادث، ولا حتى لإطعام قادر في الباحة

الخلفية، وأن الأسرة سهرت بأكملها برفقة حسين توضب الملابس وتجهز الطعام، فقد كان حسين مسافراً في الصباح الباكر إلى الصعيد.

ويتصاعد الصراع عندما أكدت لها جراسيا، أن هذا الحادث كان بدافع الانتقام وأكدت لها ذلك زبيدة أن الفاعل هو محمد الذي يعشقها بجنون.

– لكن الكلام لم يرق لجراسيا، فأياً من كان الفاعل فقد فعل ذلك بإيعاز من زبيدة نفسها .... لكن زبيدة التي امتلأت حقداً ورغبة في استعادة صورتها بأي ثمن. قالت لجراسيا إن من قام بإحراق الكوخ، لم يفعل ذلك لأجل خاطرها، بل لأجل عشقه الذي أحبطته زبيدة، وأنها لن تسمح له برؤيتها ولا الحديث إليها.

أكدت كلمات زبيدة أن محمد هو الفاعل الحقيقي، وهذا ما دفع الصراع إلى ذروته، فدفع خال جراسيا للانتقام من محمد، ونتيجة لذلك تعرض محمد للضرب المبرح، وأصيبت عيناه بجروح خطيرة، وخسر فرصة أن يصبح شرطياً، ويرث محمد صدقي، ولكن لم يكن محمد نادماً على ذلك، فحبه لزبيدة لم يتغير أبداً.

ويظهر الصراع العاطفي بين محمد وزبيدة ومدى تمسكه بها وحبها الكبير عندما علم أن زبيدة ستتزوج شاهر، تجنب حضور حفل زفافها، وذهب إلى بلدة نعمات للعمل في الأرض، وعندما علم بوفاة زوج زبيدة هرع على الفور ليكون بجانبها، وكانت يده أول من حملت النعش عنها عندما خارت قواها وكادت تسقط على الأرض.

وترى الباحثة أن حب محمد لزبيدة من طرف واحد، كان مقدر له النهاية المأساوية، وهذا أيضاً يجعل شخصية محمد أكثر ثراء، فهو مخلص لمشاعره، لكنه شجاع ومتهور بعض الشيء، وكان يجرؤ على الحب والكراهية.

٤– **صراع الحب بين نشأت وليليت:** وقع نشأت في حب فتاة أرمينية تُدعى ليليت، وبقيت في قلبه وذهنه، وبذل نشأت قصارى جهده لكي يصل إلى قلبها، فتغلب على حاجز اللغة وأحضر أول هاتف إلى مصر، وقضيا ليالٍ

عديدة يتحدثان عبر الهاتف بلا انقطاع، ولكن نظراً لهويته الإسلامية فشلا في النهاية، بسبب المشاكل الدينية، على الرغم من أنهما كانا يحبان بعضهما البعض، وقضى نشأت حياته كلها مهووساً بحبه الفاشل مع ليليت والذي أصبح ندماً يلازم نشأت طوال حياته.

وينهار الحب، وينتهي بالصراع النفسي الأبدي، عندما رفض كل منهما أن يتخلى عن ملته ودينه من أجل الحب، فقد رغب كل منهما أن يترك الآخر ملته من أجله. تقول ليليت: لقد طلب مني الزواج يا أبت، فابتلع الأسقف صدمته بحنكة لسنوات، وقال: سليه إن كان سيترك ملته ليتزوجك، إن قال نعم فهو صادق في طلبه، وإن قال لا فلا يريد إلا أن يزيغك عن الطريق الذي أوصاكِ به الرب، لطمتها صحوة المفاجأة، وتمكّنت منها حين امتنع نشأت عن الإجابة لأيام، بل إنه دخن أرطالاً كثيرة من التبغ قبل أن يقول: تصورت أن بإمكانكِ أن تتركي أنتِ ملتك.

٥- **صراع الشخصيات بعد وفاة شاهر**: تسببت وفاة شاهر في ضربة مدمرة لزبيدة، كما أن عائلة زبيدة كانت حزينة للغاية، ويمكن ملاحظة أنها كانت خائفة ومذعورة من خلال أن الأب لا يستطيع قبول وفاة ابنه ويشعر بالاستياء تجاه زوجة ابنه. «شاهر مات! صرخت زبيدة فشقت ثوب السعادة الأملس، ... فانطرح جسد خديجة فوق كرسي الصالون في حلوان، ولطمت هنومة صدرها المترع بالأمومة»[١].

(١) أحمد القرملاوي، ورثة آل الشيخ، مصدر سابق، ص ٢٠٨.

نتائج البحث

١- تنتمي رواية "ورثة آل الشيخ" للكاتب المصري أحمد القرملاوي إلى روايات الأجيال أو الرواية النهرية، وتُعد الأحدث في هذا الفن.

٢- المؤلف القرملاوي يعبر خلال الرواية عن تجربته الذاتية، فيحكي تاريخ عائلة من الطبقة المتوسطة، بدأت في أحد أحياء القاهرة العتيقة قبل أكثر من مائة عام.

٣- تتميز الشخصيات في رواية "ورثة آل الشيخ" بحيويتها، وتتدفق منها المشاعر والأحاسيس.

٤- برع المؤلف في بناء شخصيات الرواية عبر هذه الأبعاد: ١- البعد الجسدي. ٢- البعد الفكري. ٣- البعد الاجتماعي. ٤- البعد النفسي.

٥- كان للأبعاد النفسية والجسمانية أثرها الواضح في تشكيل وبناء شخصيات الرواية.

٦- أقام القرملاوي بين الشخصيات والأحداث علاقات مباشرة واضحة.

٧- لم تغفل الرواية الحضور النسوي المصاحب للصراع الحاد بين الشخصيات.

٨- قدم القرملاوي رسالة ضمنية تنذر بأن العزلة والهجرة باتت طريقاً للخلاص من الواقع المأزوم، وذلك خلال الشخصيات الذين يسافرون سعياً وراء أحلامهم.

٩- تعددت ألوان صراع الشخصيات في الرواية بين خلافات مادية، وخلافات اجتماعية، وصراعات عاطفية.

١٠-رواية "ورثة آل الشيخ" تميزت بالنهاية المفتوحة، التي تركها المؤلف لوعي المتلقي.

قائمة المصادر والمراجع

١- أحمد القرملاوي، ورثة آل الشيخ، الدار العربية للكتاب، ط١، ٢٠٢٠م.

٢- أحمد سيد محمد، الرواية الانسيابية عند الروائيين العرب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

٣- أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر، دار الولاء للتوزيع والنشر ط٤، ٢٠٢٣م.

٤- آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، سوريا، ط١، ١٩٩٧م.

٥- جويدة حماش، بناء الشخصية في حكاية (عبدو والجماجم) لمصطفى فاس، مقاربة في السيميائيات، منشورات الأردن، ٢٠٠٧م.

٦- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصيات)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٠م.

٧- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩١م.

٨- خمار عبد الله، تقنيات الدراسة في الرواية (الشخصية)، دار الكتاب العربي، الجزائر، ١٩٩٩م.

٩- زهير محمود عبيدات، رواية الأجيال في السرد العربي الحديث، دار أزمنة للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.

١٠-سيزا قاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

١١-عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، ١٩٩٨م.

١٢-علال سنقومة، المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة، رابطة كتاب الاختلاف، ط١، ٢٠٠٠م.

١٣-محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠م.

١٤-مصطفى عبيد، رواية "ورثة آل الشيخ" [كيف تشابكت الغاية واختلفت المساعي؟!] ٢٠٢٠م.

١٥-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

١٦-نشوة أحمد، "ورثة آل الشيخ" عن عابري الحياة بلا ضجيج، أحمد القرملاوي يكشف كنزاً من الحكايات في سير أسرة مصرية، ٢٠٢٠م.

المواقع الإلكترونية:

١٧-سهام ذهني، تكثيف الماضي في أحداث الحاضر، ٢٠٢٢م.

١٨-Preveiewofmosque على موقع واي باك مشين، ٢٠١٤

19-Backmetion.com

20-Islamkaotob.baaldim.

21-waybackmaction.com

22-Wikipedia.org